(مملكة الجنة) للمخرج البريطاني ريدلي سكوت:

استحضار التاريخ لفهم الحاضر، وصياغة رسالة تدعو للحوار والتسامح!

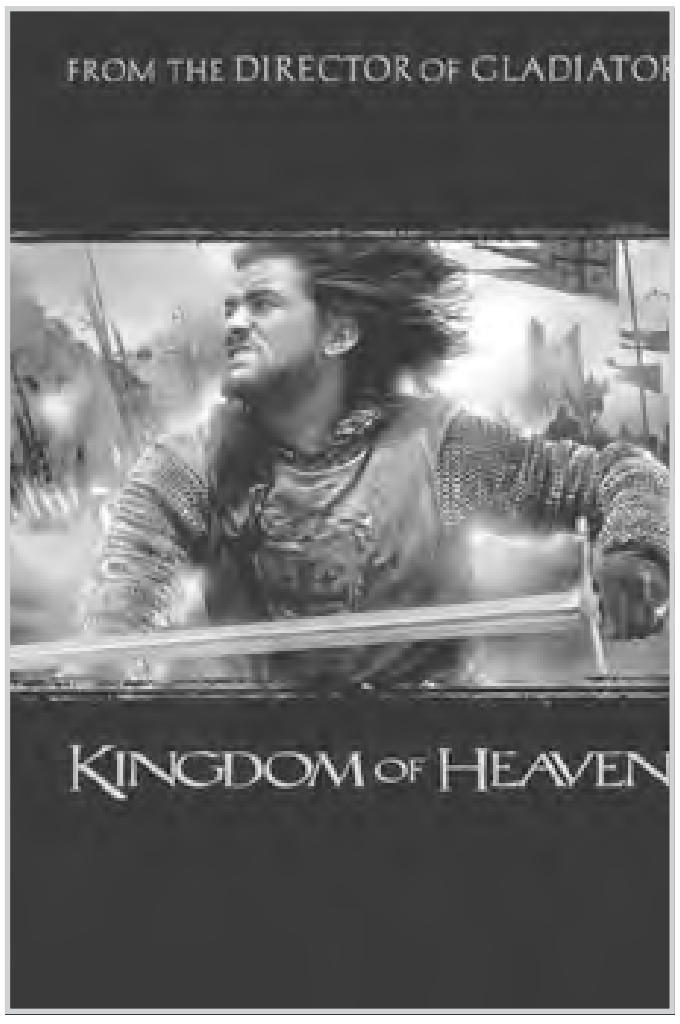

دمشق ـ ابراهيم حاج عبدي

فيلم "مملكة الجنة" هو من الأفلام القليلة في تاريخ السينما العالمية التي أثارت جدلا واسعا لدى الأوساط الإعلامية، والسياسية، والثقافية في الشرق والغرب، وقد تباينت الآراء بشأنه بين السخط الشديد والرضا التام، فالفيلم الذي أخرجه البريطاني ريدلي سكوت، وكتب له السيناريو الكاتب اليهودي وليم مانهان، وبلغت ميزانيته حوالي ١٣٠ مليون دولار مع دعم من قبل العاهل المغربي محمد السادس، يتناول تلك العلاقة الإشكالية بين الشرق والغرب التي شكلت محورا لكثير من الأفلام، غير أن سكوت يتميز عن سابقيه في كونه يطرح هذه الإشكالية في مرحلة وصلت فيها طبيعة العلاقة إلى ذروة الالتباس والتعقيد منذ أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر ٢٠٠١ م، التي شكلت، فاتحة لعصر جديد، بل أن بعض الباحثين والمؤرخين أرخ لبداية القرن الحادي والعشرين بهذا التاريخ، فيما أثار هذا الحدث على الصعيد الفكري والثقافي نقاشا لم يهدأ حتى اللحظة، فالحدث كان بمثابة صدمة للباحثين الذين قضوا سنوات في دراسة مفهوم أو مصطلح "حوار الحضارات" الذي انهار مع انهيار برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك.

ثمة مقاربات كثيرة تحاول تفسير وقراءة طبيعة هذه العلاقة الشائكة بين الغرب والعالم الإسلامي اليوم، ومن هذه المقاربات ما كتبه فريد هاليداي في كتابه "ساعتان هزتا العالم: ١١ ايلول الأسباب والنتائج"، إذ يتصدى فيه لتشريح ظاهرة العداء للغرب، ولعل أسباب هذا العداء كما يرى هاليداي تكمن في أن الغرب سبق له أن هيمن على العالم الإسلامي مثلما يحاول الآن تقسيم هذا العالم، والسبب الآخر يتمثل في أن الغرب ينظر بلا مبالاة إلى معاناة المسلمين في فلسطين، والشيشان، والبوسنة، وكشمير وغيرها من البلاد، فضلا عن ازدواجية المعايير الخاصة بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان فيما يتعلق بالسلوك الإسرائيلي إزاء الشعب الفلسطيني الذي يمثل خرقا لهذه المبادئ. بالإضافة إلى ذلك فان الشعوب الإسلامية . كما يذهب هاليداي . تنظر إلى القيم الغربية على أنها فاسدة وتحاول الدول الغربية، رغم ذلك، أن تغزو بها المجال الثقافي العربي والإسلامي من خلال الفضائيات وشبكة الاتصالات الحديثة، وسبب آخر من أسباب العداء للغرب يتمثل في إن جماعات الإسلام السياسي ترى أن الدول الغربية تدعم النظم الديكتاتورية التي تخالف مبادئ الدين في العالم الإسلامي، فضلا عن تجاهلها لتطلعات ومصالح العالم الإسلامي الأمر الذي يغذي مشاعر العداء للغرب، لكن بالمقابل فان للغرب وللولايات المتحدة مبرراتها وحججها فيما يتعلق بسياساتها تجاه هذه المنطقة.

في ظل هذا المشهد العالمي المتوتر، والمضطرب، يحتاج العالم إلى فيلم من مستوى "مملكة الجنة" الذي يدعو إلى نوع من التسامح، ويحاول إيصال رسالة تفيد بعدم جدوى الصراعات الدموية والحروب، ولئن جاءت هذه الرسالة في ثنايا فيلم أمريكي فتلك سابقة مهمة، إذ لم يحدث من قبل في تاريخ السينما . كما يؤكد الناقد المصري سمير فريد . إنتاج فيلم أمريكي، بواسطة شركة أمريكية عالمية، يقدم صورة إيجابية للمسلمين والدين الإسلامي على النحو الذي نراه في هذا الفيلم . الحدث.

الفيلم يستعرض، عبر قراءة هادئة، تاريخا حقيقيا، ويسعى إلى رصد أحداث ووقائع جرت إبان الحملة الصليبية الثانية، وهو يركز على تلك الأحداث المنطوية على أبعاد ودلالات مفعمة بتلك الروح التي تنزع إلى نبذ العنف، والتطرف سواء كان مسيحيا، أم إسلاميا، أم يهوديا، ولعل هذا هو السبب في انقسام الآراء بشأن تقييم الفيلم، فهو يقدم رؤية معتدلة متسامحة، وهذه لا ترضي الراديكاليين . المتطرفين سواء في الغرب أم العالم الإسلامي، فالفيلم يقول ان سبب البلاء هو التطرف، والعنف، وثقافة الإلغاء، ومصادرة الرأي، ويسعى إلى تعرية هذه الرؤى المتزمتة التي جلبت الكوارث والمآسي للبشرية في الماضي والحاضر.

يفتح الفيلم صفحة مريرة من تاريخ أوربا في عصر التطرف المسيحي في العصور الوسطى، عندما قامت الحروب الصليبية قبل ألف عام ضد العالم الإسلامي، وتحت اسم الصليب، زورا، مثلما تقام حروب الإرهاب اليوم تحت راية الإسلام. والمخرج يختار أحداث وقعت في منتصف الحروب الصليبية واغلب الوقائع والشخصيات حقيقية رغم الأسلوب السينمائي المدهش لمخرجه، والتوظيف البارع للغة البصرية، وللمعارك ومشاهد الحروب الصليبية التي استمرت مائتي سنة بدأت بهزيمة المسلمين واحتلال الجيوش الصليبية للقدس فيما يعرف بالحملة الأولى، وانتهت بانتصار المسلمين وتحرير القدس بقيادة القائد الكردي صلاح الدين الأيوبي (١١٣٧ - ١١٩٣ م).

يبدأ الفيلم بداية حزينة تكاد تنبئ بما سيأتي من ماس، وحروب، فوسط الألوان القاتمة: الأزرق، والأبيض، والأسود وفي أحضان طبيعة باردة موحشة، رغم جمالها، تدفن امرأة على ربوة في الريف الفرنسي سنة ١١٨٤ م، وإذ يلمح الراهب المتطرف صليباً فضياً صغيراً حول عنق المرأة الميتة المعدة للدفن ينزعه بحقد، ويأمر حفار القبور بفصل رأسها عن جسدها قبل الدفن، فهي ماتت منتحرة حزنا على موت طفلها، ولعل ذلك يدل على مدى العاطفة والإنسانية التي تفيض بها، لكن الراهب أصولي، والأصول تقتضي نزع الصليب من عنقها وقطع رأسها وهي جثة هامدة، قبل دفنها.

ثم يظهر الفارس الفرنسي النبيل غودفري (ليام نيسون) باحثا عن ابنه الشاب بعد مرور أكثر من عشرين سنة على ولادته، فقد أقام غودفري علاقة غير شرعية منذ عشرين عاما مع امرأة، وعرف بأنها أنجبت طفلا هو، بالضبط، الشاب الحداد باليان (اورلاندو بلوم) زوج المرأة المنتحرة، الذي يرفض، في البداية، أبوته والذهاب معه إلى القدس لمناصرة ملكها، لكنه حين يرى الصليب في يد الكاهن يقتله ويلتحق بوالده ورجاله كي يحارب معهم في صفوف الجيوش الصليبية، تكفيرا عن ذنب انتحار زوجته، وقتله الكاهن، ترافقه أصوات الجموع لدى اتخاذ هذا القرار:"قتل الكافر ليس جريمة، وإنما الطريق إلى الجنة"، وهو الشعار الذي يغذي توجهات المتطرفين من جميع الأديان، وفي كل الأزمنة.

والمعروف أن الحكم المسيحي قد منح، بعد سقوط القدس، إقطاعيات، وأراضي لكبار الفرسان، والنبلاء، وكان من بينهم غودفري، والد باليان الذي أورث المزرعة لابنه وعلمه قبيل موته بان الإيمان هنا وهنا بينما يشير إلى موضع العقل وموضع القلب، بمعنى العطف والشفقة، ومعهما العقلانية والتروي، وهذا هو جوهر الإيمان الذي يجهله المتطرفون، والمتزمتون، ولعل تجسيد هذا الإيمان النقي يتجلى في هذه المزرعة التي تعتبر "مملكة الجنة" ومن هنا عنوان الفيلم، حيث تعمل فيها بسلام وتآخ عائلات من المسلمين والمسيحيين واليهود دون أي نزاع أو تمييز.

تدور أحداث الفيلم بعد ست سنوات من معاهدة صلاح الدين أو "الهدنة" بين المسلمين والمسيحيين، التي ضمنت حرية العبادة للجميع كما كان الحال في عهد حكم المسلمين قبل سقوط القدس، ولكن الآراء المتطرفة تنزع دائما نحو الاصطدام كما هو شأن قائد الجيوش الصليبية غي دي لويزنان (مارتون كزوكاس) الذي يصف غود فري صاحب "مملكة الجنة" بـ "الخائن للمسيحية"، وفي بلاط ملك القدس بالدوين الرابع "ادوارد نورتون" يصطدم لويزنان مع باليان الذي تغرم به سيبيلا (ايفا جرين) أخت الملك وزوجة لويزنان التي تعيش معه حياة معذبة.

ويكمن براعة المخرج في إظهار موقفه من خلال حقيقة تاريخية تقول أن ملك القدس كان مصابا بمرض الجذام، وكان يضع على وجهه قناعاً فضيا، وقد وظف المخرج هذه الحقيقة إذ ظهر الملك وهو يضع قناعا لتبرز قسوة الملامح الخالية من الحياة، والتي تترك انطباعا، لدى المشاهد، بقسوة الحروب أيضا، ولعل هذه الرمزية توضحت عبر الحوار أيضا عندما يقول تيبرياس "جيرمي ايرونز" مستشار الملك العسكري "كنت أتصور في البداية أننا نقاتل من أجل الله. ثم أدركت أننا نقاتل من أجل الأرض والثروة"، وعندما يموت الملك وينزع عن وجهه القناع يبرز الوجه البشع للملك، وكأنه كناية عن الوجه البشع للحروب.

ينجح المخرج في توظيف موسيقا تصويرية مناسبة للأحداث التي تقع فهو يوظف حينا الموسيقا العربية بشكل متقن، كما يستخدم أحيانا الموسيقا الغربية ذات الإيقاع الجنائزي . التراجيدي، وفي سعي منه إلى إبراز أهوال الحروب يستخدم المخرج المشاهد البانورامية العريضة التي تلتقط أجواء المعارك، وصخبها، واتساع رقعتها بدقة. جموع غفيرة من الجنود، والفرسان، والألوية تحتل مساحة الشاشة طيلة الثلث الأخير من الفيلم، وهو يلجأ أحيانا إلى التصوير، من فوق، بالطائرة لتظهر هذه الجموع المحاربة وهي تملأ الآفاق. والواقع أن سكوت نجح في تصوير هذه المعارك، واستحضر أجواءها، ومناخاتها، وعنفوانها وخصوصا لدى محاصرة جنود صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس وأسوارها الضخمة، ولعل النقطة الضعيفة برزت في الفيلم من خلال تلك العلاقة الغرامية التي ربطت بين سبيلا شقيقة الملك وباليان، التي بدت مقحمة في مسار الفيلم، وأربكت إيقاعه الأسطوري المنضبط، ففضلا عن ان سبيلا تظهر وكأنها خارجة للتو من إحدى لوحات الاستشراق التي صورت نساء الشرق، من خلال ملامح وجهها، وزينتها، وحليها، وزيها، وحركاتها رغم كونها فرنسية، فان العلاقة، من زاوية أخرى، تبتعد عن الإقناع والصدق، فباليان يصد عنها حينا، ويهيم بها أحيانا ثم تنتهي العلاقة في النهاية دون أي مبرر لها من الأساس، إلا إذا كان هدف سكوت هو إظهار وجه أنثوي جميل في عالم لا مكان فيه سوى للسيوف، والفرسان، وقعقعة السلاح.

ولا شك أن تركيز مخرج الفيلم على مشاهد الخراب، والدماء، والدمار، والجثث التي تحلق من فوقها الطيور في الأرض الموحشة الصامتة، يهدف إلى إشاعة الإحساس بمدى المآسي، والأهوال التي تخلفها الحروب، خصوصا وان هذه الحروب تجري على أسوار مدينة، هي القدس، لم تزل مسرحا للاضطرابات، والمعارك ما يعني ان الحروب لا تقدم حلولا بل ان السلام، والحوار، والتسامح هو الحل الأمثل، فقد دخل العالم الألفية الثالثة، والقدس مازالت موضع شد وجذب، ولعل ذلك تبدى في سلوك البطل صلاح الدين الأيوبي الذي جسد دوره باقتدار الممثل السوري غسان مسعود، فهو حين دخل القدس منتصرا، لم يؤذ ساكنيها من اليهود، والمسيحيين كما فعل الصليبيون من قبله بالمسلمين رغم ان الصليبين هم من خرقوا الهدنة، وقتل أحد فرسانهم شقيقة صلاح الدين العزلاء دون مبرر، وحين يسأله باليان بعد الانتصار ماذا يعني لك القدس فيرد: "لا شيء"، ويذهب صلاح الدين ثم يلتفت مضيفا: "وكل شيء".

ولعل الدليل الأبرز على تسامح هذا البطل الأسطوري صلاح الدين يتمثل في مشهد دخوله إحدى الكنائس حيث يجد صليبا مقلوبا على الأرض، فيحمله بوجل، ويضعه على مائدة، وبالمقابل نجد ريتشارد قلب الأسد يلتقي مع باليان قائد الجيوش الصليبية، ويمتدح بطولته ويدعوه لمواصلة القتال ضد صلاح الدين، فيرفض باليان بعد أن رأى بشاعة الحروب، ويقول انه يفضل أن يعود حدادا.

هذه النبرة المتسامحة هي التي طغت على أجواء الفيلم، وصاغت رسالته الرئيسة، ولم يكن هدف سكوت إظهار شجاعة ونبالة أحد الطرفين على حساب الطرف الآخر، ففي الطرفين ثمة معتدلون ومتطرفون، وقد جرت العادة ان تطرح في هذه الأفلام التي تتناول الحروب الصليبية رؤية أحادية الجانب، وذلك تبعا لجهة التمويل، فالطرف الغربي أظهر المسلمين على انهم عنيفون، ومتعطشون للدماء، وهمجيون يستحقون القتل، وكذلك فان الأفلام والمسلسلات العربية أظهرت الجيوش الصليبية على انهم كفار يعشقون الدماء، وهم منحلون أخلاقيا، وكلتا الرؤيتين تبتعدان عن الموضوعية، وهذا ما أوضحه فيلم سكوت، فهو لم يختلق أحداثاً مجانية بل عاد إلى التاريخ، واستوحى منه شخصيات حقيقية، بعضها اتسمت بالاعتدال، وبعضها الآخر جنحت نحو التطرف، ولعل سكوت أراد القول، من خلال هذه الرؤية المتوازنة، ان الخلاص يكمن في الحوار، والتفاهم، والتسامح، لا في الحروب، والصراعات...وهذه رسالة إنسانية تناسب تماما هذه المرحلة التي بلغ فيها الصراع أوجه، ولا بد من أفلام وأعمال فنية من هذا المستوى، وبهذه المضامين، وذلك تجسيدا لمقطع من شعر سيزار يقول: "ليس لعرق أن يحتكر الجمال أو الذكاء أو القوة، وثمة متسع للجميع في موعد النصر".

كلاكيت

قضية بازوليني

علاء المفرجي

بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً يعاد فتح ملف مقتل المخرج الايطالي بيير باولو بازوليني بعد الاستماع الى شهود جدد وبروز ادلة جديدة عن جريمة هزت الضمير الايطالي.

وما كان قبل ثلاثين عاماً مجرد تكهنات، اصبح الان اقرب الى الحقيقة فيما يخص توجيه الاتهام الى الفاشيين الجدد وهذه المرة بعلم المخابرات الايطالية.

ومثلما اثارت حياته وسيرته الابداعية جدلاً عميقاً، فقد اثار موته، ولا يزال، الجدل نفسه، فهو رجل التناقضات بجدارة، ففي الوقت الذي منحت فيه الدائرة الكاثوليكية في مهرجان فينسيا فيلمه بثوريم (قضية اثبات) الجائزة الاولى في مهرجان فينيسيا، صادرت العدالة الايطالية بكرات الفيلم بتهمة انه فيلم (داعر)، لينصب الهجوم من قبل الحكومة والكنيسة على هذا العمل الذي تعذر تصنيفه، ومثلما اعلن الحاده كان يمتلك اعجاباً بالأناجيل.

لقد لازم سوء الفهم هذه الشخصية الاشكالية في الحياة والموت فقد كان في جميع افلامه صادماً وخارجاً عن السائد والمألوف وحياته الخاصة كانت تسبب من التشويق والبلبلة بقدر ما تسبب اعماله.

كان في حياته صعباً على التصنيف فما ان كرس نفسه شاعراً وكاتباً حتى تحول الى السينما كاتب سيناريو ثم منتجاً ومخرجاً لينظر اليه الناس سينمائياً كبيراً.

اثار موته او الطريقة الوحشية التي استخدمت لانهاء حياته. الكثير من الاسئلة لم تقف عند كونها جريمة جنسية قذرة، بل تعدتها الى مؤامرة فاشية. ويذهب الذين يعتقدون بأنها مؤامرة مدبرة الى ان هناك الكثير من الاشارات التي تشير الى ضلوع (عصابات المجازر السود) الفاشية في عمليات اغتيال مثقفين شبيهين ببازوليني.. وكان فيلمه الاخير الذي يعد الاكثر غموضاً وصعوبة (سالو او ١٢٠ يوماً في سادوم) والذي انجزه قبل ايام من موته دافعاً قوياً لاغتياله. هذا الفيلم الذي حفل بالآلام ومناظر التعذيب والقتل والاغتصاب والذي يدور حول الموت والفاشية.

واذا كان فيليب بيازو يرى في موت بازوليني الوحشي كما لو انه درب الصلب، فان جميع ابطال افلامه شهداء او يموتون بوضعية الصلب كما هي شخصية كاتور في حكايات كانتربري.

اعادة فتح قضية بازوليني قد لا تضيف له ولتاريخه شيئاً...ولكنها ستعيد الاعتبار الى واحدة من اهم حقب السينما الايطالية والعالمية.. ذلك ان بازوليني ترك تراثاً سينمائياً ثراً اصبح مع الوقت درساً جمالياً وفكرياً لكل المشتغلين بالفن السابع.

المكتبة السينمائية

كياروستامي .. فاكهة السينما الممنوعة

في هذا الكتاب الذي يقع في اثنتين وثمانين صفحة من الحجم الصغير والصادر عن دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الاعلامية في دمشق يقدم مؤلفه الناقد فجر كنعان قراءة فاحصة تأخذ شكل (الريبورتاج) لمسيرة وإبداع المخرج السينمائي الايراني المعروف ان يم يكن الاشهر عباس كياروستامي الذي قال عنه امبراطور السينما اليابانية (اكيراكورساوا) بعد مشاهدته لفلمين اللذين عرضا في العاصمة اليابانية طوكيو وهما (اين يسكن الصديق) و (تستمر الحياة): (اعتقد ان افلام المخرج الايراني عباس كياروستامي رائعة واستثنائية، والكلمات وحدها تعجز عن وصف مشاعري، على انني اقترح عليكم مشاهدتها، وعندها سوف تعرفون ما اعنيه، ان ساتياجيت راي قد مات ومنذ هذه اللحظة احس بالتيه والتخبط واجدني مقلوباً رأساً على عقب، ولكن مجرد مشاهدة افلام كياروستامي تدعوني لان اشكر الله، فقد حصلنا على بديل صالح لراي... وما اعنيه هو انني لا بد من ان اقف لحظة تأمل جادة بعد مشاهدتي افلام كياروستامي).

هذا (الاطراء) الاستثنائي ما كان ليصدر عن مخرج يقول فجر يعقوب في مكانه اكيراكورساوا فهو نادراً جداً ما يتحدث عن افلام (الاخرين) وهو لم يعلق في نصف قرن مضى الا على افلام اندريه تاركوفسكي وجون كاسافيتش وساتياجيت راي، والان فقط تجيء افلام كياروستامي لتحرضه على القول:

(المؤلف يستعرض ابرز واهم هذه الافلام التي تثير الدهشة والتأمل مثل (كلوز- اب) الذي يرى فيه ان اخلاص المخرج هنا للقطة المقربة وهو ما يعنيه اسم الفيلم انما هو اخلاص لروح السينما بكل احباطات انسانها ووهنه وهمومه وجزئيات حياته الدقيقة المكونة من دنو الارواح القلقة والذهب الخفي في عالم مدهش لا يدخله الا مبدعون ممتلكون بلاغة نهر السينما وفنها العظيم).

تنتج السينما الايرانية الان نحو ٦٠- ٨٠ فيلماً روائياً في العام وهي تلقى قبولاً جيداًوان ذيوع هذه الفاكهة السينمائية وانكشاف اسرارها المانعة على الملأ قد فرضت نفسها بنفسها لانها سينما الناس بالدرجة الاولى او هي -كما يؤكد المؤلف- سينما الانسان والمعارضون الذين يقولون شيئاً بحق هذا الانسان، وقد حصدت هذه السينما حتى الان اكثر من (٣٠) جائزة عالمية بما فيها سعفة كان الذهبية لعباس كياروستامي عن فيلمه (طعم الكرز) عام ١٩٩٧ وهذا المخرج قد حقق افلاماً مهمة في زمن الشاه المخلوع ولم يغادر بلده حتى في ظروف الحرب العراقية- الايرانية المجنونة على حد تعبير المؤلف، وعلى الرغم من ذلك يظل الفيلم (طعم الكرز) ممنوعاً من العرض داخل ايران على الرغم من حصوله على (السعفة الذهبية).

الكتاب يستطرد في مساره نفسه (الريبورتاجي) السريع- اذا صح التعبير- في تتبع ومضات ابداع هذا الفنان وفاكهته السينمائية المنوعة وينقلنا بخفة ورشاقة ليرسم لنا ملامح هذه المسيرة الضاجة بالحياة.. والحياة فقط..

فهو -أي عباس كياروستامي - ممثل نموذجي للمخرج الجديد برغم كرسيه القديم نسبياً اذا ما اجلسنا عليه المخرجين الإيرانيين الآخرين مخملياف ومجيدي وبناهي وآخرين غيرهم يمثلون الموجة الجديدة في السينما الايرانية.

الكتاب فرصة حقيقة ولحظة تأمل معرفية لسيرة مخرج اكتسب شهرته ونجاحه عالمياً من محليته التي كانت هوية ابداعه منذ فيلمه الاول (المسافر) الذي اخرجه عام ١٩٧٤ .

خسرو عزيز

ما يفتقر اليه الكثير من ، إن لم يكن معظم ، مثقفي الكورد هو القدرة على كسب تعاطف الاخرين مع ما يعاني شعبهم من إضطهاد رغم إنه إضطهاد قاس ومستمر . ولايقتصر الأمر على النخب السياسية ، ولو كان كذلك لهان ، لكنه يشمل وللأسف النخب الفنية والأدبية . المشكلة هي بان هذه النخب لاتزال اسيرة نظرة خاطئة تعتقد أن محاولة إستدرار عطف الاخرين لمعاناتهم هي موقف ضعف وأمر معيب لايليق بمن لديه قضية وإصرار على إنتزاع حقوقه . ربما لهذا السبب خلت الساحة الأدبية الكردية ولو من رواية واحدة مؤثرة ترسم مأساة الكورد وتنتزع دموع قارئيها من الشعوب الأخرى .

شخصيا قضيت سنوات عديدة في مناطق المقاومة الكردية في العراق ، شاهدا على معاناة إسطورية كان يعيشها يوميا مواطنون مسالمون تحت وطأة الحرب الدائرة بين الحركة الكردية المسلحة والحكومة الشوفينية آنذاك، وتمنيت أكثر ما تمنيت لو أن لي مواهب قاص أو راو لأنقل جزءا من صورة التراجيديا الدائرة في هذه البقعة المنسية من العالم ، وكان السؤال الكبيرالذي يحتل حيز تفكيري هو لماذا لاينتج هذا المعين الهائل رائعة أدبية ؟

الفن مجال اخر أكثر غنى وملاءمة للتعبير عن قضية شعب وامال . السينما بالذات وسيلة رائعة لما تمتلك من مؤثرات حسية متنوعة ، ورغم أن فرصتنا ككورد للإستفادة من هذه الوسيلة جاءت متأخرة بسبب الظروف القاسية ، إلا أننا فشلنا على ما يبدو في إستثمارها بالشكل المفيد والأمثل حين سنحت الفرصة تمثلت بوصول فيلم كردي هو " الكيلومتر صفر" عن قضية الكورد الى المسابقة الرسمية لواحد من اكبر مهرجانات السينما في العالم وهو " مهرجان كان" لكن عدم قدرة المخرج على طرح قضيته بالشكل الذي يكسب تعاطف الاخرين ، إنطلاقا من النظرة الخاطئة المذكورة آنفاً ، ضيعت هذه الفرصة النادرة وقلصت مكاسبها الى أدنى حد ، والجهود التي بذلت من أجل إخراج فيلم بمواصفات فنية جيدة ،وأستطيع أن أتصور كم هي مضنية في ظروف كردستان ، اوشكت على أن تذهب هباءً بسبب فشل المخرج في إجادة فن مخاطبة الاخرين .

أعرف المخرج هنر سليم عندما كان طالبا في المرحلة المتوسطة ، وأشهد بأنه كان يمتلك منذ تلك الفترة إنتباها حادا وحسا قوميا متأججا ، لكنني كنت أتمنى لو أن هجرته المبكرة الى أوروبا ساهمت في تطوير قدرته على تصوير معاناة بني قومه بالصورة الإيجابية الحقيقية . مشكلة (هنر) هي المشكلة نفسها موضوعنا : الأنسب لنا إثارة الإعجاب ببطولاتنا ،وليس إستدرار الشفقة لتضحياتنا .

هنا لا أريد أن أناقش قناعات المخرج في أن الحقد القومي بين الكورد والعرب متجذر عميقا بين درجات السلم الإجتماعي في العراق ، فهناك شواهد كثيرة تدحض ذلك ، فالكورد الذين هجرتهم الأنظمة العنصرية قسرا الى المناطق العربية في الجنوب والوسط لقوا ترحابا وتعاطفا من مضيفيهم ، كما أن العرب الذين أضطروا للنزوح الى مناطق المقاومة الكردية هربا من تعسف الأنظمة أحيطوا بالمحبة من قبل المواطنين الكورد ، لكنني أود أن أساله بكل تأكيد عن السبب الذي منع بطله من القدرة على كسب صداقة رفيق سفرته العربي البسيط أو تنويره بطبيعة همومه . وإذا كان بالإمكان غض النظر عن فشل (أكو) الجندي المحبط ، في أغتنام فرصة سفره مع السائق العربي لكسب تعاطفه مع قضية الكورد فليس من السهل مسامحة فنان ومثقف كردي أتيحت له فرصة الوصول الى محفل فني عالمي فعجز عن إستثمارها للغاية نفسها .

لقد أضاع سياسيونا فرصا تأريخية مصيرية في محافل دولية مهمة بسبب القصور عن كسب التعاطف لقضية عادلة ، وكنت أتمنى أن لا يكرر فنانونا خطأ مشابها في ملتقى ثقافي دولي مهم مثل " مهرجان كان " .

كاتب كردي مقيم في واشنطن

وجهة نظر بشأن فيلم (الكيلومتر صفر)

حين اضاعت الثقافة الكردية فرصة ذهبية في (مهرجان كان)